الوطن... بين الذاكرة والحقيبة

محمود درويش

فصل اخر من كتاب عن تجربة محمود درويش
الاسرائيلية ، ينشر تباعا في « شؤون فلسطينية »

[١]

● ما هو الوطن ؟

الخريطة ليست اجابة . وشهادة الميلاد صارت تختلف . لم يواجه أحد هذا السؤال كما تواجهه أنت . منذ الان والى ان تموت ، أو تتوب ، أو تخون . قناعتك لا تكفي ، لانها لا تغير ولا تفجر ولان التيه كبير . ليست الصحراء اكبر من الزنزانة دائما . وما هو الوطن ؟ ليس سؤالا تجيب عنه وتمضي . حياتك وقضيتك معا . وقبل ذلك وبعد ذلك — هو هويتك . من أبسط الامور ان تقول : وطني .. حيث ولدت . وقد عدت الى مكان ولادتك ولم تجد شيئا . فماذا يعني ذلك ؟. ومن أبسط الامور أن تقول أيضا : وطني .. حيث أموت . ولكنك قد تموت في أي مكان ، وقد تموت على حدود مكانين . فماذا يعني ذلك ؟ وبعد قليل .. سيصبح السؤال أصعب . لماذا هاجرت .. لماذا هاجرت ؟ منذ عشرين عاما وأنت تسأل : لماذا هاجروا ؟ ليست الهجرة الغاء للوطن . ولكنها تحويل المسألة الى سؤال . لا تؤرخ الان . حين تفعل ذلك تخرج من الماضي . والمطلوب هو أن تحاسب الماضي . لا تؤرخ الا جراحك . لا تؤرخ الا غربتك . أنت هنا .. هنا . حيث ولدت ، وحيث يأخذك الشوق الى الموت .. وما هو الوطن ؟ ولكنك جزء من كل ، والكل غائب ، ومعروض للابادة . ولماذا صرت تخشى القول : ان الوطن هو المكان الذي عاش فيه أجدادي ؟. لانك ترفض ذريعة أعدائك . هكذا يقولون .

— ماذا تعلمت في المدرسة .

● سلام على العصفور العائد من بلاد الشمس الى نافذتي في المنفى . أخبرني أيها العصفور عن حال أهلي وأجدادي .

— والاغنية السابقة ؟

● الغوها .

— ماذا كانت تقول الاغنية التي الغوها ؟

— عليك مني السلام
يا أرض أجدادي
ففيك طاب المقام
وطاب انشادي .